الاخلاق وان سميت نفسا فباعتبار ذم الشرع لها والا فاطلاق النفس على المشتهيات من تعلق
النفس بها وتحصيلها لاغراضها واما القسم الثاني الذي طبع العبد عليه وهو في نظر الشرع
مذموم فينبغي تغييره والانتقال عنه بالمجاهدة كما بينا التخلق بالاخلاق المحموده من الصبر
والزهد والتوكل والتكلف والتكليف والمجاهدة في التحصيل وزعم بعض الناس ان هذه الاخلاق
المذمومه لا تتغير لانها مما طبع العبد عليها فغايتها ان تسكن بالمجاهدة والتخويف وان غفل
العبد عنها عادت وهذا فيه نظر فان الدليل على صحة تغييرها طلب الشرع لاضدادها
ونهيه عن التلبس بها وقد يقع الغلط فيما يميل العبد اليه وينفر عنه ويعتقد ان الميل له على
الخصوص طبع وكذلك النفرة عنه وليس بصحيح وانما الطبع الذي لا يتغير الميل لكل لذيذ
والنفره عن كل كريه مطلقا وقد يتوهم الشخص ان شيئا لذيذا فيميل اليه واذا انتبه الله الى
جهة قبحه نفر عنه ومن هذا القبيل ميل النفوس الى الدنيا العاجلة وان كان ميلهم اليها
لانهم لا يعرفون حسنا غيرها فاذا من الله تعالى على العبد وعرف عوار الدنيا ونقصها وما وقع
فيه من البلا وتجنب عنه من الخيرات نفر عنها وكرهها فالذي كان لذيذا صار كريها وطبعه
لم يتغير وانما تغير ظنه باللذيذ والكريه وكذلك من نظر الى الاعمال الصالحة ومشقة القيام بها من الصلاة
والصوم والحج والجهاد وما يترتب على تحصيل ذلك من اتعاب النفس والمال والتغرير بالنفس في الجهاد
والنفس نافرة عن هذه المشاق فاذا من الله تعالى على العبد بما يترتب عليها من الفوائد في الدنيا
والاخرى ورزقه اللذة فيها مال اليها وثقل عليه تركها فالذي كان منه نافرا صار اليه
مايلا والطبع لم يتغير فدل جميع ذلك على تغيير الاخلاق وهي العوائد وان الطبع الذي لا يتغير
هو ما ذكرناه من الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه وقد تطلق النفس على المعنى الذي يفارق
الانسان بالموت والروح ايضا فيقال زهقت نفسه وخرجت روحه وقد قال ابن عباس
لما تكلم على النوم في قوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها قال في الجسد نفس وروح بينهما
مثل شعاع الشمس فاذا خرجت النفس بالنوم فان اراد الله تعالى وفاة العبد امسك النفس
فتبعها الروح قاله مجاهد وقال ابن عباس الا انه جعل النفس العقل وهو الذي يزول بالنوم
فقد اطلقت النفس ايضا على ما يفارق الانسان بالموت وقد سمى الله النفس في كتابه باسما
مختلفة فقال ان النفس لامارة بالسوء وقال لا اقسم بالنفس اللوامة وقال يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك فلما كانت مايلة للشهوات ومخلة بالطاعات سميت امارة بالسوء فلما عرفت
سوء حالها وما هي عليه من نزول قدرها ومن عليها بالتوبة وبها صارت تلوم نفسها على التقصير
والتفريط وتلافي ما ذهب من ايامها في البطالة والتخليط سميت لوامة ولما استقامت على
الخيرات ولذت لها الطاعات وحسن بينها وبين سيدها المناجاة وجميل الحالات اطمانت
لما اجراه الجليل من التوفيق في ساير الحالات سميت مطمينة فقد اختلف اسماوها

باختلاف

باختلاف احوالها ويحتمل ان تكون النفس لطيفة هي محل الاخلاق المذمومة والروح لطيفة
هي محل الاخلاق المحموده وكون النفس والروح في الجسد لا يبعد اذا كانا اجساما لطيفة
فانه لا يتقبض ويدخل الاجزا فان قيل ان العين محل للمبصرات والانف محل ادراك الروايح
واللسان محل ادراك الذوق وكذلك النفس والروح والذايق والشام والبصير والمتصف
بالاخلاق المحموده والمذمومه هي جملة الانسان فيوصف بكونه ذايقا شاما بصيرا
متخلقا باخلاق محموده ومذمومه هذا باعتبار اطلاق الاسم خاصة والا فالتحقيق ان المعنى
اذا قام بجزء استحال ان يوجب حكمه لغير من قام به وانما مراد الامام الجملة تسمية قال
الامام رضي الله عنه ومن ذلك الروح الارواح تختلف فيها عند اهل التحقيق من اهل السنة
فمنهم من يقول انها الحياة فقط ومنهم من يقول انها اعيان مودعة في هذه القوالب لطيفة
اجرى الله سبحانه العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الارواح في الابدان فالانسان
حي بالحياة ولكن الارواح مودعة في القوالب ولها ترق في حال النوم ومفارقة للبدن ثم
رجوع اليها وان الانسان هو الروح والجسد لان الله سبحانه سخر هذه الجملة بعضها لبعض
والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة والارواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطئ
خطا عظيما والاخبار تدل على انها اعيان لطيفة قال الشارح رضي الله عنه الروح هو الذي
بها رق الانسان بالموت ويقبضه الملك ويكون في عليين للسعداء وفي سجين للاشقيا
وفي حواصل طير خضر للشهداء كما جاء في الاخبار وقوله الارواح جنود مجندة فما
تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف فهذا كله يدل على انها اجرام واجزا ومن قال
انها الحياة عرض وهو يستحيل حملها وانتقالها الا ان يقول بقيام هذا المعنى بجزء فينتقل الجزء
والمعنى معه وهذا فيه اشكال فان المعنى لا يبقى زمنين على الصحيح واذا قلنا ان الروح الجسد
وكان معنى فهو يتوالى على الجزء الذي قام به وان لم يكن في الجسد فلزم من ذلك ان تكون الحياة
لا للجسد وانما تكون للجزء الذي تولى عليه والظاهر هو الاول وقد سلك الامام الغزالي
مسلكا اخر وجعل النفس والروح والعقل شيئا واحدا وهو المعنى الذي يفارق الانسان بالموت
وهي الحقيقة الربانية كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال لفظ النفس
يطلق على الدم وعلى الحقيقة الربانية ولفظ العلم يطلق على العلم وعلى الحقيقة الربانية
ولفظ القلب يطلق على اللحم الصنوبري الشكل وعلى الحقيقة الربانية ولفظ الروح يطلق
على البخار الذي في جوف هذا الشكل وعلى الحقيقة الربانية فجعل الحقيقة الربانية تسمى نفسا
وروحا وقلبا وعقلا وعلى الجملة فمقصود اهل هذه الطايفة بلفظ الروح معنى له تعلق
بالمشاهدات والاطلاع على المغيبات وحصول الانس والقرب من الله سبحانه فاذا كان العبد
بهذه الحالة جعلوا هذا الروح كما تقدم من ان النفس هي الشهوات المذمومة هذا كله

الاول

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)